ومضات في البعد الزماني لنزول القرآن الكريم

دكتور/ نواف مزيد حسن السريحي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق ونبي الحق وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فيعد نزول القرآن الكريم والدعوة إلى دين الإسلام حدثا عظيما هز أرجاء الكون ككل فضلا عن أنه شمل جميع الكائنات حيث بنزوله وبعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل في دعوته الثقلان ، فلم يدخل في هذا الدين العظيم سوى أرباب الفطرة النقية التي لا تشوبها الدنيا في قلوبهم ، وسوف نتعرض في دراستنا هذه إلى نزول القرآن الكريم منجما كما نبين أيضا أبعاد الزمن فيه ، وهل للتنجيم أثر فيه هذه الأبعاد الزمنية أم لا ؟

أولا: نزول القرآن الكريم هذه اللحظة التاريخية

يعد نزول القرآن الكريم أعظم وقائع التاريخ الإنساني منذ آدم ونوح –عليهما السلام– وحتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ويكفي للدلالة على ذلك في السياق التاريخي نفسه بعيدا عن أي بحث في (المضامين القرآنية التي مازالت تؤكد ذلك وترتقي به جيلا بعد جيل –أن ننظر في الوجهة التي أخذها هذا التاريخ الإنساني بعد هذا النزول أو بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

إن هذه الوجهة هي التي انتهت بالعالم كله اليوم إلى الصورة التي هو عليها ، والتي ما كان لها أن تكون كذلك لولا هذا النزول الكريم والبعثة الشريفة، بدءا من انسياح الإسلام في الأرض ، والقضاء على دولة الأكاسرة في الشرق، والقياصرة في الغرب.. وما تبعه من سيادة الحضارة العربية الإسلامية في التاريخ نحوا من ثمانية قرون .. مرورا بالحروب الصليبية وسائر الحروب التي شنت على العالم الإسلامي .. وبحركة الكشوف الجغرافية التي جاءت في أعقاب خروج المسلمين من إسبانيا أو شبه

جزيرة الأندلس، وبسبب من هذا الطرد أو الخروج[١] .. وأخيرا –وليس آخرا– قيام الحضارة الأوروبية التي ماتزال سائدة على مسرح التاريخ، وصلة هذا القيام بهذا كله، وبالمنهج العلمي الذي جاء به المسلمون، والإنجازات الثقافية والعلمية التي حققوها خلال العصر–الأوروبي – الوسيط .

وإذا كانت لحظة النزول[٢] قد قسمت التاريخ إلى مرحلتين أو حقبتين : ما قبل النزول، وما بعد النزول –وهما اللتان أشير إليهما بقوله تعالى في وصف القرآن : "**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**" [٣] فإن النزول نفسه لم يحصل مرة واحدة، كما كانت عليه الحال في الكتب السماوية السابقة، ولكنه امتد لفترة تقرب من ربع قرن وإذا سمينا المرحلة السابقة على النزول بالبعد التاريخي، والمرحلة التي تلي عصر التنزيل بالبعد المستقبلي وإن كانت التسمية الأولى صالحة للمرحلتين فإن زمن النزول الممتد نفسه، أو المشار إليه، يمكن تسميته بالبعد الزماني للنزول أو التنزيل ، علما بأن هذا البعد أو الفترة الزمنية الممتدة للنزول عبر عنها عند المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن: بالنزول المنجم ، أي نزول القرآن على نجوم بمعنى دفعات ومرات متعددة .

ونؤكد هنا على ما أشرنا إليه قبل قليل من انفراد القرآن بالنزول على هذا النحو من بين سائر الكتب التي كانت تنزل على الأنبياء السابقين مرة واحدة .قال تعالى : "**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**"[٤]. إن التأكيد على هذه الفرادة مهم في هذا السياق، وكما سيتبين لنا بعد قليل في ضوء ما نشير إليه من حكم هذا التنجيم ، وبخاصة ما سوف نضيفه في هذا الباب إن شاء الله.

وعلى الرغم من أن العلماء فهموا من الآية السابقة أن سائر كتب الله تعالى أو كتب الأنبياء السابقين نزلت جملة واحدة "حتى كاد أن يكون إجماعا"[٥] بحسب عبارة

---

(١) تراث الإسلام – فصل "آرنست باكر" تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف / توماس أرنولد – ص ٧٣– ١٢٣ .

(٢) الرحيق المختوم – للمباركفوري – ص ٧٥– ٧٦ .

(٣) فصلت – ٤٢ .

(٤) الفرقان – ٣٢– ٣٣ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – جـ ١/ ١٢١ .

السيوطي؛ فإن بعضهم أنكر ذلك وقال إنه لا دليل عليه، بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن.

وقد صوب السيوطي رأي الجمهور بدليل هذه الآية قال: "أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قالت اليهود: يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى؟ فنزلت الآية وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ: قال المشركون وأخرج نحوه عن قتادة والسدي". ثم أوضح أن الآية المذكورة وإن لم تصرح بذلك، فإنها دالة على صحته ، لأن الله تعالى لم يرد عليهم، بل عدل إلى بيان الحكمة في هذا التنزيل « ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول: إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقين، كما أجاب بقولهم : **"وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا"**[1] ، وقال: " **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ** "[2]، وقولهم : " **قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولا** "[3]، وقال تعالى: " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ** "[4].

وقد اتسع النزول المنجم للقرآن الكريم لأسباب النزول ، كما اتسع للنسخ عند من يرى وقوعه في القرآن ، وهم جمهور العلماء والمفسرين. كما كان لهذا التنجيم حكمه المعهودة في كتب التفسير وعلوم القرآن . ونقف هنا عند واحدة من هذه الحكم ، وهي : الدلالة على إعجاز القرآن وإثبات مصدره، لأنه لها علاقة بما سنضيفه في هذا البحث، أو لأننا سوف نعود لتأكيد هذه الحكمة أو الدلالة من وجه آخر.

ثانيا : البعد الزماني للنزول وعدم اختلاف القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم خلال هذه المدة الطويلة، وكانت كلما نزلت آية أو آيات قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ضعوها في مكان كذا من سورة كذا" وربما نزلت الآيات التي توضع في آخر السورة قبل الآيات التي توضع في أولها أو في مقدماتها، وربما لم يكتمل بناء بعض السور إلا في زمن ليس بالقصير .ومع هذا كله ، ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم «بشر لا يدري «ما ستجئ به الأيام ، ولا يعلم ما سيكون في مستقبل

---

(1) الفرقان – ٧ .

(2) الفرقان – ٢٠ .

(3) الإسراء – ٩٤ .

(4) الأنبياء – ٧ .

الزمان[1] فقد كان القرآن الكريم متسقا هذا الاتساق المعجز، وجاء منسق الآيات والسور، محكم السرد ، دقيق السبك، قوي الأسلوب. إن في ذلك جميعه دليلا باهرة على أن هذا الكتاب الكريم تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** "[2].

وهذا الاختلاف يكون من وجهين رئيسيين :

الأول: من حيث النظم والأسلوب والبيان الذي لم يختلف في القرآن أو يتخلف في موطن من المواطن، وذلك على خلاف المعهود عند الكتاب والأدباء أيا كان حظهم من التفوق، ومع تفرغهم للعمل الأدبي الواحد في زمن معين أو فترات متقاربة لا تصل في العادة إلى ما يقرب من ربع قرن! ومع التقديم والتأخير، واختلاف المناسبات والأحوال التي تم فيها وعليها نزول القرآن الكريم.

أما الاختلاف الثاني: فهو اختلاف المعاني والمضامين ؛ فإذا لم تختلف هذه المعاني عند أحد طيلة حياته، بل بقي المرء عند آرائه وأفكاره لم يعدل منها شيء –وهذا في العادة بعيد– فهل يمكن لهذه الآراء والأفكار أن تكون مفهومة أو تأتي على نحو متسق أو منسجم عندما يضم الكلام، الذي قاله في سنوات طوال بعضه إلى بعض ، ويجمع في باب واحد أو في فصول متفرقة ؟ إن الحديث النبوي نفسه الذي لم ينطق فيه النبي الكريم عن هوى أو بما يتعارض، هل يمكن أن يؤلف الآن على ذلك النحو الذي تألف – اجتمع أو لجمع عليه القرآن؟ بل إن الحديث الشريف " وهو ما هو في روعته وبلاغته، وطهره وسموه "والذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في مناسبات مختلفة «هل في مكنة أحد أن ينظم منه كتابا واحدا يصقله الاسترسال والوحدة ، من غير أن ينقص منه أو يتزيد عليه أو يتصرف فيه ؟"[3]

يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني : "ومن حاول ذلك فإنما يحاول العبث، ويخرج للناس بثوب مرقع، وكلام ملفق ينقصه الترابط والانسجام، وتعوزه الوحدة والاسترسال..."[4].

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن – للزرقاني– جـ١/٦١ .

(2) النساء – ٨٢ .

(3) مناهل العرفان – للزرقاني– جـ١/٦٢ .

(4) المصدر نفسه .

وفي المقابل يقول الأستاذ الدكتور / محمد عبدالله دراز :

" واعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن الكريم فهي جمهرته، وتنقل بفكرك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين : كيف بدأت؟ وكيف تمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت، وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها، ووطأت أولاها لأخراها؟ وأنا لك زعيم بأنك لن تجد ألبتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى، ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها قد نزلت نجوما"[1].

وقد أشار الإمام الغزالي إلى هذين الوجهين من وجوه الاختلاف المنفي عن القرآن .. وإلى وجوه أخرى قريبة أو مماثلة، حين سئل عن قول الله تبارك وتعالى: "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** "[2] فقال رحمه الله: الاختلاف لفظ مشترك بين معان . وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن ويقال : هذا كلام مختلف؟ أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة، أو هو مختلف الدعوى ..أو هو مختلف النظم.." قال : " و كلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحد في النظم .. وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشمل على الغث والسمين، وهو مسوق لمعنى واحد، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى" .

أما كلام البشر فإن هذه الاختلافات تتطرق إليه " إذ كلام الشعراء والمرسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النظم ، ثم اختلاف في درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين، ولا يتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة– واحدة على أبيات فصيحة وأخرى سخيفة !وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة؛ لأن الشعراء والفصحاء في كل واد يهيمون.. فتارة يمدحون الدنيا، وتارة يذمونها .. وتارة يمدحون الجبن ويسمونه حزما، وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا! وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صرامة، وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ".

---

(1) النبأ العظيم – ص ١٤٩ .

(2) النساء – ٨٢ .

ثم يعلل الإمام الغزالي وجود هذه الاختلافات ، في كلام البشر –دون كلام الله تعالى– على الرغم من التنجيم الذي أشرنا إليه ، فيقول: " ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات ، لأن منشأها : اختلاف الأغراض والأحوال ، والإنسان تختلف أحواله ، فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ، وتتعذر عليه عند الانقباض ، وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشئ مرة ويميل عنه أخرى ، فيوجب ذلك اختلافا في كلامه بالضرورة " ثم يقول : "فلا يصادف إنسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة ، وهي مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد .ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم تختلف أحواله، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرة"[١].

ثالثا : ما الحكمة من تنجيم النزول ؟

ويمكننا أن نضيف إلى هذه الحكمة ، وسواها ما يقرب منها –مما انطوت عليه كتب علوم القرآن – النقاط الجديدة التالية:

١– توثيق حياة النبي صلى الله عليه وسلم ووقائع السيرة النبوية الشريفة لقد هيأ هذا النزول المنجم الفرصة لضم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى سائر قصص الأنبياء والمرسلين، وحياة الأمم السابقين ، وأحداث التاريخ الكبرى منذ آدم ونوح ، وهي الأحداث التي تمت بأعظم وقائع التاريخ الإنساني، وهي واقعة بعثة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه علىه ونزول القرآن ، كما قلنا في مطلع هذا البحث.

لقد ارتقى القرآن الكريم بالسيرة النبوية : النبراس والمثل الذي يحتذى إلى يوم الدين، ووقائع الجماعة الإسلامية الأولى في عهديها المكي والمدني، إلى مقام التواتر والتوثيق الإلهي ولم يدع هذه الوقائع وتلك السيرة وحدها، دون أحداث التاريخ والأم والأنبياء السابقين، إلى الرواة والقصاص والمؤرخين، بالغا ما بلغت عدالتهم أو درجة ضبطهم وتوثيقهم.

إن التوثيق الذي منحه القرآن الكريم لحياة الأنبياء السابقين وقصصهم مع أقوامهم لم يبخل به عن سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين ! ولولا النزول المنجم للقرآن لما أدركنا كيف كان سيتم ذلك. بل إن هذا التنجيم لم يتسع لأحداث السيرة النبوية ومعالمها الكبرى كطرىق من طرق التوثيق ارتقى بها إلى درجة التواتر فحسب، بل بوصفها

---

(١) الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – جـ٢/ ٣٤٤ .

كذلك قاعدة التاريخ الإسلامي وطليعته التي تقدمت (عمل) جيل التنزيل، أو التي تفاعل معها هذا الجيل نفسه وفحوى ذلك أن هذا التنجيم اتسع للحديث عن السلوك والأعمال ، أو اتسع للحديث عن سنن الاجتماع الإنساني من خلال نفاذها ووقوعها في المجتمع الإسلامي طيلة حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومدة نزول القرآن أي من خلال البعد العملي أو التطبيقي لهذه السنن .في الوقت الذي أشار القرآن الكريم إلى هذا الوقوع أو النفاذ في مواطن (تاريخية) أخرى كثيرة من خلال(قصص الأنبياء) وتاريخ الأمم السابقة على الأمة الإسلامية، والتي كانت تأتي بدورها في السياق الملائم عبر هذا النزول المنجم .

لا غرو إذن أن تنزل سائر كتب الله تعالى على الأنبياء السابقين جملة واحدة، وأن ينفرد القرآن الكريم بنزوله منجما خلال ما يوازي بناء جيل طليعي واحد من أجيال التاريخ .

٢- الدلالة على أن محمدا –صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين:

يدل هذا النزول المنجم في الوقت ذاته أو من الطرف المقابل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده، وأنه لا كتاب بعد القرآن يهيمن أو يوثق !أو بعبارة أخرى: لما كان محمد ابن عبدالله –صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين، وكان كتابه آخر الكتب أو لا كتاب بعده يهيمن أو يوثق .. كان لابد من أن ينزل هذا الكتاب الكريم منجما.. حتى يتسع لضم سيرة خاتم المرسلين، ولهذا فإن في وسعنا أن نرى في هذا النزول المنجم دليلا بينا على أن رسالة محمد صلى الله عليه خاتمة الرسالات وأنه لا نبي بعده عليه الصلاة والسلام.

٣- تصويب حركة الامتثال والتطبيق :

اتسع هذا النزول المنجم لتصويب حركة تطبيق الأحكام والامتثال للشريعة ، أو للدلالة على مواطن الخطأ ووجوه التقصير في تنفيذ الأحكام والتشريعات . وفي هذا تأكيد بالغ الأهمية على ضرورة استجابة (الواقع) للوحي أو للنص استجابة تامة غير منقوصة ، ومن ثم لتقديم الصورة (الواقعية المثلى) – إن صح التعبير – لهذه الحركة عبر عصور التاريخ ، أو التي يجب أن تحتذى عبر هذه العصور بعد أن قدم جيل التنزيل وإن شئت قلت : جيل التنجيم الذي قام بالتطبيق وجرت عليه المراجعة والتصويب النموذج الأفضل والمثال الذي يحتذى . ولقد نزل القرآن تباعا أو موقفا في إثر موقف

، يسجل على هذا الجيل ما وقعوا فيه من خطأ أو شاب عملهم من ضعف أو قصور ، ويقفهم رأي العين أو في (الواقع) الذي عاشوه وعاينوه على سنن الاجتماع الإنساني في المنشط والمكره ، والعسر واليسر ، والهزيمة والنصر، لا ليعلمهم ويدربهم على تغيير الواقع الفاسد أو المغلوط باتجاه (الواقع) المطلوب أو المرغوب فيه فحسب ، بل ليدربهم فوق ذلك على أن الواقع المؤلم أو المكروه والذي أفرزه مبدأ صائب أو الذي جاء في أعقابه وانبنى عليه ، لا يجوز له أن يشكل مبررا لتجاوز المبدأ أو للعودة عليه بالتحوير والتبديل ، كما حصل يوم أحد على سبيل المثال.[1]

لقد نزل في هذا اليوم آيات قرآنية كما هو معلوم، منها في هذا الجانب الثاني وحده قوله تعالى: " **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**".[2]

فقد أمرت هذه الآية الكريمة النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتزام مبدأ الشورى على الرغم من أن الهزيمة التي لحقت بالمسلمين جاءت في أعقاب شورى النبي –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه ، ونزوله على رأيهم في ملاقاة المشركين بظاهر المدينة – وليس في داخلها كما كان يميل إلى ذلك النبي الكريم عليه الصلاة والسلام– ولكن هذه الهزيمة لا يجوز لها أن تبرر تجاوز هذا المبدأ أو هذا التشريع أو الانتقاص منه ، فضلا عن تكريس نقيضه بحجة (الواقع) الذي أفرزه أو انبنى عليه .

رابعا : الوحي وعلاقته بالواقع

والعجيب بعد هذا أن يزعم بعض الباحثين أن القرآن أو (الوحي) الإلهي الأخير كان استجابة (للواقع) ويعني به بالطبع (الواقع) الذي شهد التنزيل، أي الذي كان قائما في أواسط القرن السابع الميلادي في جزيرة العرب ، أو في مكة والمدينة على وجه الخصوص، ويقول د/ حسن حنفي– في معرض حديثه عن التراث–: " ليس التراث موجودا صوريا له استقلال عن الواقع الذي نشأ فيه، وبصرف النظر عن الواقع الذي يهدف إلى تطويره، بل هو تراث يعبر عن الواقع الأول الذي هو جزء من مكوناته" ويضيف: " وإن ما عبر عنه القدماء باسم (أسباب النزول) لهو في الحقيقة أسبقية

---

(1) في ظلال القرآن – أ/ سيد قطب –رحمه الله– جـ ١ – ص ٥٣٢ – ٥٣٣ .

(2) سورة آل عمران – ١٥٩ .

الواقع على الفكر ، ومناداته له . كما أن ما عبر عنه القدماء باسم (الناسخ والمنسوخ) ليدل على أن الفكر يتحدد طبقا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته، إن التراخي الواقع تراخي الفكر ، وإن اشتد الواقع اشتد الفكر"[١] ويفهم من (الفكر) في هذا السياق ، أي في سياق الحديث عن أسباب النزول وعن الناسخ والمنسوخ ، أن المقصود به (الوحي) وهو ما صرح به في بعض كتبه الأخرى حيث قال: " إن الوحي نزل حسب متطلبات الواقع ، أو كما يقول علماء الأصول : طبقا لأسباب النزول ، وتبعا لإمكانيات تقبله"[٢].

وندع هنا تسويته أو خلطه بين الكتاب والسنة أو النص والوحي من جهة[٣]، وبين المعارف التي خلفتها لنال أجيال المسلمين السابقة من جهة أخرى. فالكتاب والسنة بوصفهما أصلين ثابتين هما لجميع العصور وتخاطب بهما جميع الأجيال؛ وهما اللذان دار حولهما (التراث) الذي انحدر إلينا عبر العصور ، وفيه الفهوم القوية والكليلة ، وما يصلح (للواقع) الراهن وما لا يصلح . أو بعبارة أخرى : تبدو في هذا التراث في الحقيقة ملامح (الواقع) الذي أثر فيه أو أنتجه في عصر من العصور ، علما بأن هذا التراث الإسلامي له خصوصية ليست لسواه من تراث الأمم الأخرى؛ لأنه دار حول هذين الأصلين الخالدين، وهو الأمر الذي لا تتمتع به أمة أخرى من الأمم ، حتى بات في وسعنا أن نعرف التراث الإسلامي بأنه يتمثل في فهوم الأجيال السابقة للكتاب والسنة ومحاولة تنزيل أحكامهما على واقع المجتمعات الإسلامية المتعدد عبر الزمان والمكان ، بالإضافة إلى ما قبله المسلمون من تراث الأمم الأخرى ، أو جادلوهم فيه، أو نافحوا عن الإسلام من خلاله .

ندع هذا الخلط أو هذه التسوية التي وقع فيها د/ حسن حنفي بين مستوى الوحي الإلهي الثابت ومستوى الاجتهاد والتفسير أو الفهم والتنزيل ، وما يلحق به ويضاف إليه في ضوء الوحي الثابت من النقل والاقتباس والتفسير. مع التأكيد على أن هذه التسوية عنده مقصودة ، بل إن حديثه منصب في الحقيقة على القرآن الكريم نفسه ، لأنه تحدث عن النسخ وعن أسباب النزول ، ثم ركز بشدة على أسباب النزول بوجه خاص ، ومع تسليمنا بطبيعة الحال بأن هذين الأمرين كانا بسبب تنجيم القرآن الكريم . أو إن هذا

---

(١) التراث والتجديد : موقفنا من التراث القديم – د/ حسن حنفي – ص ١٣ .

(٢) قضايا معاصرة – جـ ١/ ٩٢ .

(٣) بحث بعنوان : " الحداثة والأصالة في مختبر محدد : أنطون سعادة نموذجا" – للكاتب : السيد حازم صاغية في مجلة (أبواب) ص ٦٢-٦٣ و ٨١ – العدد ١٤ – خريف ١٩٩٧م .

النزول المنجم للقرآن الكريم هو الذي اتسع لهما ، كما قلنا قبل قليل . ولكننا آثرنا أن نشير هنا إلى هذا التفريق بين القرآن والتراث أو بين مستوى الوحي الإلهي الثابت ومستوى الاجتهاد والتنزيل المتغير، أو المتأثر بالواقع ؛ لنؤكد أولا على أن الخلط أو التسوية التي قصد إليها د/ حسن حنفي مأخوذة أو منتزعة في الحقيقة من الثقافات الوضعية ، أو أنها قياس عليها، ولا يزال الواقع يشكل في نطاق هذه الثقافات وفي طليعتها الثقافة الأوربية كما نلاحظ مصدر الآراء والنظريات وأساس التطور الذي تخضع له هذه الثقافات . وإن كان هذا التطور لا يعني دائما الارتقاء ، بل لعله لا يعدو أن يكون في كثير من الأحيان مجرد تبديل وتغيير يلحق بالآراء والنظريات والقيم.. وربما كان اتجاها نحو الأسوأ ، أو ارتكاسا إلى الخطأ وتراجعا عن الصواب ، أو عن الحق والصواب . كما رأينا في نزعة الإلحاد في القرن الثامن عشر . وفي الماركسية ومعظم مذاهب الوجودية حتى عصر قريب .

إن الواقع في هذه الثقافات وإن شئت قلت التاريخ هو الذي يفرض الفكرة أو يوحي بالمبدأ أو النظرية ، أو التي تستنبط منه وتتبلور من خلاله كما رأينا في قانون الأطوار الثلاثة الذي قال به " كومت" والذي اعتمد فيه على تاريخ المعرفة في المجتمع الأوربي أي على واقعها خلال عصور القوم وكما رأينا في نظرية ماركس في الاقتصاد ، والتي اعتمد فيها أو انتزعها من تاريخ الاقتصاد الأوروبي .. وكذلك الحال في مقولة زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية "دور كهايم" إن الدين ظاهرة اجتماعية نبتت من الأرض ولم تهبط من السماء .. إلخ هذه المقولات والآراء والنظريات التي استعرضنا طرفا منها في بحث آخر .

إن الواقع هو الذي يفرض الفكرة أو يوحي بها عند القوم في الثقافة الوضعية التي لا تعرف الثوابت، وليس فيها ذلك التفريق الحاسم والمعهود في الثقافة الإسلامية بين مستوى الوحي ومستوى الاجتهاد ، أو التراث[1]. إن د/ حسن حنفي وضرباءه من الباحثين يقومون بعملية قياس خفي أو ظاهر للإسلام والقرآن على الثقافة الأوربية والفكر العلماني أو الوضعي غير عابئين بالحقيقة الكبرى التي لا تخطئها العين في الثقافة الإسلامية ، وهي أن الواقع لابد له أن يخضع للنص أو الوحي ، أو أنه لا بد من

(1) بحث بعنوان : الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة – د/ يوسف القرضاوي – كلية الإنسانيات – جامعة قطر – ص ٥٠ .

تغييره أو تعديله باتجاه التوافق مع الحكم أو الواقع المنشود أو المطلوب ، إن أسباب النزول والنسخ يأتيان في هذا السياق لا في أسبقية الواقع على النص ، أو تحكمه فيه ، ولا ندري في مثال الشورى الذي تحدثنا عنه ، لماذا لم ينزل الوحي ناعيا أو منتقصا من قدرها بحجة واقع الهزيمة الذي أفرزته .

كما يأتي كل من النسخ وأسباب النزول كذلك في سياق خصوصية تاريخية لن تعاد مرة أخرى؛ لأن جيل التنزيل هو الجيل الذي عبر به القرآن الكريم عن أوضاع الجاهلية إلى أحكام الإسلام، وانتقل به من جميع ملابسات الشرك إلى كافة آفاق التوحيد حتى حقق به ذلك الجيل النموذج أو الجيل المثال الذي يحتذى إلى يوم الدين ، وقد أدى النسخ وأسباب النزول وظيفتهما في ذلك ، بوصفهما رعاية لهذا الجيل الفريد الذي ليس له نظير في تاريخ الإسلام وفي تاريخ الإنسان .

خامسا: النسخ وأهميته في بناء شخصية الفرد

لقد كان النسخ بالنسبة لهذا الجيل واحدا من أهم وسائل التربية والإعداد في بناء شخصيته على الصعيد الفردي ، وفي مواجهته كأمة ومجتمع مع الجاهلية العربية وسائر المجتمعات الأخرى في الأمم والشعوب ، أو في نقل أبناء عصر التنزيل من الجاهلية إلى الإسلام ، ولهذا فقد جاء مرة نسخا مباشرا ، وجاء مرة أخرى على مراحل وهو ما عرف عند كثير من العلماء بالتدرج في التشريع . وكان هذا في الأمور المتمكنة من الأفراد وفي المجتمع، بحيث يحتاج اجتثاثها أو التعفية على آثارها إلى وقت ليس بالتقصير. أي إن تخلي المجتمع عن مفاسده وشروره تم بواسطة هذا التدرج ن وبعمق لم يشهد له التاريخ مثيلا من قبل .

فإن قيل: إن الواقع أي جيل آخر بعد جيل التنزيل والواقع المعاصر على سبيل المثال يمكن أن يطلب النسخ ، أو بات يطلبه لأنه يمكن أن يؤدي فيه هذه الوظيفة التربوية مرة أخرى؛ لأن انحدار الناس في أسباب الحياة الجاهلية ممكن أو هو حاصل في كل عصر .

قلنا : إن لجيل التنزيل اعتباراته الخاصة التي لن تتكرر ؛ لأنه الجيل الوحيد الذي لم يعرف الفرق بين ما نسميه اليوم في مصطلحاتنا الثقافية والسياسية " النظرية والتطبيق " في الوقت الذي نزل القرآن الكريم يحمل خطابا إنسانيا موجها لأي واقع أو لكل واقع ، وهو الذي يقابل في ثقافات الأمم ما نسميه النظرية النابعة من الأرض ، أو من

التجربة الإنسانية وحدود الزمان والمكان . وفحوى ذلك أن النسخ الذي عمل عمله في إعداد جيل التنزيل والقرآن لن يتكرر نزوله لا معنى لوجوده بعد ذلك العصر بعد أن قدم ذلك الجيل النموذج أو المثال حتى بات في وسع سائر الأجيال أن تتربى بالقدوة أو بالاحتذاء بذلك الجيل ، فكان التربية بالنسخ بالنسبة لجيل التنزيل يقابلها التربية بالقدوة بهذا الجيل في حق سائر الأجيال . ويمكننا القول في هذا السياق إن مسألة النسخ هي من قبيل ما نسميه اليوم بالأحكام الانتقالية ، لأن هذه الأحكام جاءت في مرحلة انتقال المجتمع الإنساني ورحلته المكينة من الجاهلية إلى الإسلام وغني عن البيان أن الأحكام الانتقالية استثناء موقوت ، وليست حالة ثابتة مستمرة على أن الدقة العلمية تفرض علينا أن نميز في الاعتراض أو الزعم المذكور بين صورتين بغض النظر عن رأينا في موضوع النسخ بجملته .

الأولى: صورة المطالبة بإعادة الاعتبار للحكم القرآني المنسوخ ، أو الدعوة في ضوء واقع الأمم والشعوب التي ندعوها للإسلام إلى عدم عده منسوخا ، وإنما عده حكما مرحليا سوف يعبره أي مجتمع يحمل سمات المجتمع الذي شهد التنزيل إلى مرحلة الحكم القرآني التالي أو الحكم الجديد .

أما الصورة الثانية فهي مطالبة بنسخ جديد يطال حتى أحكام القرآن الناسخة أو النهائية، ونعتقد أن حديث د/ حسن حنفي عن الواقع وتأكيده على أسبقية الواقع على الفكر ، يدل على أن هذه الصورة هي المرادة من هذا الحديث مع الأسف .

ونحن في الوقت الذي ندع الباب مفتوحا أمام المجتهدين للنظر في الصورة الأولى ، وبخاصة في الأحكام المتعلقة بالمجتمع والدولة ، وعلاقتهما بالمجتمعات الأخرى وهو الأمر الذي لا يلغي توظيف التنجيم أو الإفادة من البعد الزماني للتنزيل في أي عصر[1]؛ فإننا ننظر إلى الصورة الثانية على أنها تمثل جهلا بطبيعة أحكام القرآن التي جاءت مفصلة على الإنسان ، خارجا من إطار الزمان والمكان ، أو التي نزلت موجهة لكل واقع : حاكمة عليه، ومؤثرة فيه، وليس العكس. بمعنى أن الواقع هو الذي يجب أن يخضع للوحي أو النص ، أو لا بد من تغييره باتجاه التوافق مع الحكم أو الواقع المطلوب مع تأكيدنا مرة أخرى على أن هذه الصورة مأخوذة أو منتزعة في الحقيقة من الثقافات الوضعية كما قلنا قبل قليل . وفي الفقرة التالية التي نتحدث فيها عن أسباب

(1) البرهان في علوم القرآن – جـ٢/ ٤٢ .

النزول : مزيد من البيان أو فيها الكلمة الفصل ، لأن وقوع أسباب التنزيل محل إجماع ، بوصف القرآن الكريم قد دل عليه وأشار إليه في حين أن وقوع النسخ بمعنى رفع الحكم بحيث لا يجوز امتثاله أبدا يبقى عندنا موضع نظر والذي قدمناه في تفسيره ردا على د/ حسن حنفي نظرنا فيه إلى رأي جمهور العلماء القائل بوقوعه في القرآن وبهذه المناسبة فإن الاستشهاد بقوله تعالى: " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** "[1] على وقوع النسخ في القرآن ليس بصحيح لأن الآية جاءت في سياق الرد على المشركين وأهل الكتاب واستنكارهم أن ينزل الله تعالى شريعة تنسخ سائر الشرائع وأن يوحي بكتاب ينسخ ما تقدم من الكتب وعلى هذا فإن معنى الآية الكريمة أنه قد تم نسخ شرائع هؤلاء انتقالا إلى الخيرية أو إلى ما هو أعلى وصولا إلى الشريعة الإنسانية التي لا نسخ فيها ومعنى المثلية على هذا التفسير مثلية الصلاح لقوم آخرين، ولهذا جاء في الآية قوله تعالى: (ننسها) حيث يتقادم العهد على تلك الشريعة حتى تنسى ويبعث الله تعالى بشريعة مثلها على قوم آخرين في زمن آخر . والله أعلم .

سادسا : أسباب النزول بعض من التنجيم

إن أسباب النزول لا تعني بدورها أن الوحي نزل حسب متطلبات الواقع أو أن الواقع يسبق الفكر .. إلخ هذه المزاعم وذلك للأسباب التالية :

١-إن أسباب النزول لم تستوعب الكتاب الكريم حتى نقول إن واقع المجتمع المكي أو المدني في القرن السابع الميلادي هو الذي تحكم في نزول القرآن أو كان الحاكم على النص علما بأن مثل هذا الزعم يحمل في طياته إنكار عموم القرآن وخلوده أو شموله للزمان والمكان .. وبخاصة إذا أضفنا إلى ذلك : الإشارة إلى النسخ بصورته الأخيرة التي تحدثنا عنها قبل قليل .

إن معظم آيات القرآن الكريم نزلت ابتداء أي بدون سبب نزول خاص أو معين أو بلا أسباب ومقتضيات من الواقع ويدخل في ذلك آيات الإيمان والاعتقاد وآيات الكون والطبيعة وسائر آيات العهد المكي بموضوعاتها الرحبة والمتعددة: (الكون والطبيعة – الإنسان – التاريخ) علما بأن بعض آيات هذا الجانب نزلت فهدمت الواقع القائم وأقامت على أنقاضه بناء شامخا يأوي إليه الإنسان في جميع العصور وبعضها الآخر أسس

---

[1] سورة البقرة – ١٠٦ .

معارف جديدة ليست مرتبطة بواقع معين سواء أكان واقع عصر النزول أم غيره (مظاهر خلق الطبيعة ، وتسخير السنن، وخلق الإنسان ، وحياة الأنبياء ، وتاريخ الأمم والأقوام...) وفي كلتا الحالتين فإن من سوء الفهم والقصد معا أن يقال : " إن الوحي نزل حسب متطلبات الواقع أو كما يقول علماء الأصول : طبقا لأسباب النزول وتبعا لإمكان تقبله " أي واقع ؟ وأية متطلبات؟ إن القرآن الكريم موجه للواقع ومؤثر فيه وحاكم عليه .

٢- معظم الآيات التي كان لها سبب نزول خاص لا تعدو أن تكون بعضا أو طرفا من آيات الأحكام أو الجانب التشريعي في القرآن الكريم علما بأن آيات هذا الجانب جميعها لا تزيد في القرآن عن مئتي آية . والناظر في الروايات التي وردت في أسباب النزول يمكنه ملاحظة أن ما يعتد به من هذه الروايات عند المحدثين قليل مع الإشارة إلى ضرورة تحديد المراد بسبب النزول والتدقيق في فهم العبارات المفسرين والشراح حوله من أجل الوقوف على ما يمكن عده من هذا الباب وإخراج ما ليس منه .

٣- هذا القدر نفسه يمكن عده أمثله وشواهد على مدى الواقعية في هذه الأحكام والتشريعات بمعنى نفي الطوباوية عنها أو نفي المثالية التي ليست أكثر من رؤيا في عالم الخيال أو رسما على الورق أو في الفراغ كما فعل صاحب المدينة الفاضلة وبعض الفلاسفة الآخرين على سبيل المثال .

ولهذا فإن المرء حين يتأمل هذا القدر يجد انه قام على بيان أحوال نابعة من طبيعة الإنسان أو بعبارة أدق " مفصلة عليه" بغض النظر عن ملابسات الزمان والمكان والأشخاص ، القرن السابع الميلادي في ذلك كالقرن الحالي ، وإنسان الجزيرة العربية قبل خمسة عشر قرنا كأي إنسان آخر في كل زمان ومكان . أي إن القرآن الكريم قدم في ذلك نماذج إنسانية وصورة ما يجب أن تكون عليه هذه النماذج إلى يوم الدين . ومن هنا جاءت عبارة علماء أصول الفقه المشهورة: " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " .

٤- وفي وسعنا أن نفهم سبب نزول بعض الآيات –في ضوء هذه الملاحظات– على أنه المناسبة أو مجرد المناسبة التي استدعت ظهور الحكم أو تنزيله ووضعه موضع التنفيذ أي بداية توقيت العمل به في نسق هدم أوضاع الجاهلية وبناء أحكام الإسلام

في النفس والمجتمع يوما بعد يوم أو طيلة عصر التنزيل بمعنى أن الإسلام ارتقى بالجماعة الإسلامية الأولى بوصفها النموذج الإنساني إلى الحد الذي كان يستدعي نزول أحكام جديدة ولهذا فإن جزءا كبيرا من هذه الأحكام نزل مصدرا بقوله تعالى: "يسألونك" أي إن الأمر ارتقى إلى أن صار حديث المجتمع وموضع سؤال الناس وغني عن البيان أن أحداث السيرة النبوية ووقائع حياة الجماعة الإسلامية الأولى التي شهدت التنزيل ليست داخلة في نطاق أسباب النزول بهذا المفهوم أو بمفهوم الواقع الذي قيل فيه ما قيل ؛ لأنها قضية تسجيلية في المقام الأول أقرب ما تكون إلى حديث القرآن الكريم عن تاريخ الأنبياء والأمم السابقين وما تضمنه من دروس وعبر وأشار إليه من دلالات.

٥-وحين تناولت الآية الكريمة من هذه الأحداث والوقائع جوانب أخرى متصلة بالواقع بالمعنى المشار إليه أو المتحدث عنه لم يأت هذا التناول استجابة للواقع أو تبريرا له ولكنه جاء تصحيحا وتقويما لحركة التطبيق والتنفيذ ، بل يمكن القول إن أحداث السيرة بوصفها جزءا من التاريخ واكبت الوحي ومشت في ركابه طيلة عصر التنزيل الذي نتحدث عنه كدليل على أن الوحي هو الذي صنع التاريخ أو هو الأساس والمنطلق في ذلك وإن شئت قلت: كدليل على أن النص هو الفاعل أو المؤثر في الواقع وليس العكس .

ولا يتسع المجال هنا لبسط القول في النقطة التي توضح العلاقة بين النص أو النظرية أو الثقافة بمعناها الواسع والتاريخ على الصعيد الإسلامي وليس الأوروبي والتي لم تقتصر على الفكرة القائلة " إن الثقافة (النظرية أو الوحي) هي التي صنعت التاريخ ، بل التي أضفنا إليها ما قلنا قبل قليل من أن التاريخ واكب أيضا الوحي ومشى في ركابه طيلة عصر التنزيل أو في ظل مبدأ تنجيم القرآن الكريم ؛ وذلك من أجل تصحيح وقائعه أو تصويب حركة التطبيق والتنفيذ فكيف يقال بعد هذا : إن الواقع هو المتحكم في الوحي إن اشتد اشتد الوحي ، وإن تراخى تراخى معه ، لقد أبعد هذا الرأي الفاسد أو خالف الواقع مرتين لا مرة واحدة .

ونؤكد مرة أخرى على أن هذا الزعم مأخوذ أو منتزع في الحقيقة من الثقافة الوضعية أو جاء قياسا عليها ؛ لأن الثقافة الأوربية إذا ما قوبلت بالثقافة الإسلامية في هذا الباب وجدنا أن علاقة كل منهما بالواقع أو التاريخ مختلفة حتى ليمكننا القول إننا أمام ثقافتين:

واحدة صنعت التاريخ أو الواقع وهي الثقافة الإسلامية ، وأخرى صنعها التاريخ وهي الثقافة الأوربية[1].

سابعا : مصدرية القرآن نابعة من تنجيمه

أشرنا في الفقرة أولا إلى أن من حكم تنجيم نزول القرآن هي الدلالة على إعجازه وإثبات مصدره وفي وسعنا الآن أن نؤكد هذه الحكمة لا بدليل اتساق القرآن وعدم اختلافه في الأسلوب والمضمون على الرغم من نزوله واستكمال بنائه خلال فترة النزول الطويلة هذه كما أوضحنا في الفقرة ثانيا ولكن بدليل وقوع الأحداث والنذر والبشائر على النحو الذي تحدث عنه القرآن وأشار إليه طيلة عصر التنزيل أو بعبارة أدق: بدليل انقضاء مدة النزول أو التنجيم على هذه الأحداث والبشائر وعلى سائر وعود القرآن وإبعاداته من غير خلف أو اختلاف وغني عن البيان أنه لولا النزول المنجم لما وقفنا على هذا الدليل من أدلة إثبات مصدر القرآن الكريم وأنه تنزيل من حكيم حميد .

ألم ينزل القرآن الكريم يقول في شأن أبي لهب:" **سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** "[2]فبقي أبو لهب على كفره فيما استقبل من فترة نزول القرآن أو من مدة التنجيم حتى وافاه الأجل وقد كان في وسعه سياسة أو نفاقا أو حتى إحراجا للنبي – صل– الله عليه وسلم– أن يقول إنه دخل في الإسلام، فكيف يحكم عليه محمد – صلى الله عليه وسلم– بأنه سيبقى على كفره وأنه سوف يرد النار يوم القيامة إنه بدون ريب الوحي الإلهي القاطع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أليس في مثل هذا الحكم على المستقبل هنا وفي قوله تعالى في شأن الوليد بن المغيرة على سبيل المثال:" **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** "[3] ما يشير إلى أن هذا كله من شأن من بيده مفاتيح الهداية والإيمان وأزمة الأفئدة والعقول جل شأنه؟

وأخيرا ، فإننا إذا نظرنا إلى مثل هذه المواقف في ضوء مسألة الواقع التي تحدثنا عنها قبل قليل فهل يمكن القول : إن هذا الحكم كان استجابة للواقع؟ ومن الذي استجاب لهذا الواقع الوحي أم سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم؟ أما الوحي فقد نزل به الحكم

---

(1) التاريخ بين ثقافتين – د/ عدنان محمد زرزور – حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر – العدد ٨ – ١٩٩٠م .

(2) المسد – ٣ .

(3) المدثر – ٢٦ .

القاطع ، وأما سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– فإنه لم يكن من وجهة نظر السياسة والواقع أي من جهة حرصه على إيمان قومه أو طمعه في إيمانهم أيا كانت درجة عداوتهم له ولما جاء به فلم يكن مستعدا من هذه الوجهة ولا من الوجهة النفسية وقد بدأ بإعلان دعوته على الملأ من قريش أن يواجه أبا لهب بمثل هذا الموقف أو الإعلان المخيف .

وستظل قضية البعد الزماني لنزول القرآن الكريم ومسألة النص والواقع جديرة بالمزيد من التأمل والمتابعة والدرس والله تعالى أعلم .

الخاتمة:

- أن نزول القرآن الكريم كانت حادثة فارقة في التاريخ ومجرى الكون كله .
- أن ما حدث من نزول آيات قبل أخرى لم يؤثر على ترتيبها لما ورد عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– .
- أن قضية نزوله منجما كان لها الأثر البالغ في حفظه؛ وذلك بعد عناية الله تعالى له.
- أن نزول الوحي لم يكن أمرا جزافا بل ليسجل ويشهد على أحداث ووقائع لتناسب الواقع ولتكون شرعا بعد ذلك .
- أن قضية التنجيم أفادت الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين– من معرفة أحكام الآيات ومعرفة ناسخها ومنسوخها .
- أن مرحلة النسخ هي مرحلة تدرجية أو انتقالية في تشريع الأحكام .
- قضية أسباب النزول لم تقف على واقع بعينه أو مجتمع بعينه فقط ، بل قد تنزل الآيات تمس جانب إيماني أو عقدي أو هدم لأوضاع جاهلية .
- قضية التنجيم هي إحدى إعجازات القرآن الكريم وإثباتا على أن مصدره من الله تعالى، فضلا عن أسلوبه ومضمونه .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .
٢- الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – تعليق وتقديم / محمد شريف سكر – ط١ – دار إحياء العلوم – بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م .
٣- البرهان في علوم القرآن – للزركشي – تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٥٧ م .
٤- التراث والتجديد " موقفنا من التراث القديم" – د/ حسن حنفي – ط١ – دار التنوير – بيروت ١٩٨١م .
٥- الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة – د/ يوسف القرضاوي – بحث مقدم لندوة "الثقافة العربية: الواقع وآفاق المستقبل" كلية الإنسانيات – جامعة قطر- ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٦- الرحيق المختوم – للمباركفوري – منشورات رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة – ط١- ١٤٠٠هـ- ١٩٩٣م .
٧- في ظلال القرآن – أ/ سيد قطب – ط٤ – دار الشروق – ١٩٧٧م .
٨- قضايا معاصرة –د/ حسن حنفي – دار التنوير – بيروت – ١٩٨١م .
٩- مدخل إلى القرآن والحديث – د/ عدنان محمد زرزور – المكتب الإسلامي- بيروت – ط١- ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م .
١٠-مناهل العرفان – للزرقاني – دار إحياء الكتب العربية- القاهرة – ط٣ .
١١-النبأ العظيم – د/ محمد عبدالله دراز – مطبعة السعادة – مصر- ١٣٧٩ه – ١٩٦٠م .
١٢-النسخ في القرآن الكريم – د/ مصطفى زيد – دار الفكر العربي- القاهرة ١٣٨٣ه .
١٣-تراث الإسلام- تأليف/ جمهرة من المستشرقين بإشراف / توماس أرنولد .